**المحاضرة العاشرة :الرسائل الأدبية**

1. **مفهوم الرسالة الأدبية**

تعد الرسائل الأدبية من أهم الفنون النثرية التي عرفت منذ القدم، وقد تطورت كثيرًا على مر العصور ووصلت أوجها في العصر العباسي، ثم طالتها مواضيع وأساليب جديدة أضيفت لها في العصر الأندلسي، وقد تميزت فيه وتطورت إلى حد كبير.

وتندرج الرسالة ضمن النثر الفني وهوما يصطلح عليه بـ”أدب الرسائل” الذي يشكل جنسا أدبيا قائما بذاته، إذ تنضوي تحته هو الآخر أنواع من الرسائل المختلفة أسلوبا وموضوعا، والمتنوعة غرضا ومقصدا، والمتفاوتة جمالا وتأثيرا. هذا فضلا عما راكمه “أدب الرسائل”، عبر مراحل تطوره، من قواعد و معاييـر و خصائـص؛ و من ثـم أصبحت الرسالـة « صناعة ذات قواعد وأصول

             وإذا كان أدب الرسائل « ذلك  اللون  الأدبي  الذي يشمل جميع موضوعات الرسائل النثرية الفنية المتبادلة بين الناس ،فإنه ينقسم إلى ثلاثة أنواع : الرسائل الديوانية ــ التي يسميها بعضهم بالرسائل السياسية أو السلطانية أو الرسمية، تعالج شؤون الإدارةالرسائل الإخوانية وهي التي تصور عواطف الناس ومشاعرهم في الخوف والرجاء والرهبة والمديح والهجاء والتهاني والعتاب والاعتذار والاستعطاف والتعزية.أما الرسائل الأدبية فهي التي كانت « تعنى بالكتابة في موضوع محدد ، مما نسميه اليوم باسم المقالات .

1. **أهمية أدب الرسالة**

تشغل الرسائل أهمية كبيرة في حقل الفنون الأدبية النثرية حيث كتبت إليزابيث هاردويك، الروائية والناقدة الفنية في مقال نشر عام 1953 عن المراسلات الأدبية: «أهم ما في الرسائل هو أنها مفيدة كوسيلة للتعبير عن النفس العليا المثالية، ولا توجد طريقة أخرى من طرق التواصل تضاهيها في تحقيق هذا الغرض. في المحادثات تمثل تلك الأعين المثيرة للقلق التي تتطلع إليك، وتلك الشفاه المتأهبة للتصحيح حتى قبل أن تبدأ الحديث، رادعاً قوياً لعدم الواقعية، بل للأمل.

             إن الرسالة بأنواعها وأصنافها المختلفة تستمد أهميتها وقيمتها من أمرين اثنين هما: الخصائص والوظائف.

             وتحقيقا لذلك نشير إلى أن « الكتابة الفنية بدأت مع الرسائل، ثم خطت أهم خطواتها مع الكتابة الديوانية، ومع وجود الكاتب المثقف المتخصص. ومعنى هذا أن الكتابة النثرية لم تصبح كتابة فنية إلا بعد إنشاء الدواوين، وإسناد مهمة الكتابة فيها إلى الكتاب المتخصصين الذين تفرغوا لكتابة الرسائل فبرعوا فيها وأجادوا..

             كما أن بعض القدامى عالجوا كثيرا من الظواهر الفنية في الرسالة، وقدموا قراءات لا يمكن إنكار أهميتها، وخاصة ما تعلق منها بمحاولات تجنيس الرسالة والكشف عن بنائها وخصائصها؛ وفي هذا الإطار يقول صاحب “الصناعتين”: « واعلم أن الرسائل والخطب متشاكلتان في أنها كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية وقد يتشاكلان أيضا من جهة الألفاظ والفواصل، فألفاظ الخطباء تشبه ألفاظ الكتاب في السهولة والعذوبة، وكذلك فواصل الخطب، مثل فواصل الرسائل ولا فرق بينهما إلا أن الخطبة يشافه بها والرسالة يكتب بها .

             لهذا النص قيمة كبرى وأهمية خاصة لكونه:

             أ ــ يعكس وعي صاحب “الصناعتين” بمسألة الأجناس الأدبية واستحضاره لها في  حديثه عن الرسائل والخطب.

     ب ــ يترجم رغبته في تجنيس الرسائل و الخطب اعتمادا على آليات محددة هي: المشابهة (متشاكلتان ـ يتشاكلان)، والممايزة (ولا فرق).

     ج ــ يعرف الرسائل والخطب باعتماد آلية المقارنة المضمرة لكونه يستحضر، في هذا التعريف، جنس الشعر باعتباره الأصل أو المعيار الذي يُحتكم إليه في كل عملية تجنيسية (كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية).

     د ــ تصبح الرسائل والخطب هما الكلام غير الموزون وغير المقفى؛ إنهما جنسان أدبيان متقاربان، لكنهما متمايزان عن جنس الشعر.

     هـ ــ ومعنى ذلك أن صاحب “الصناعتين” يجمع بين المتشابه من الأجناس (الخطب والرسائل) ليميزها عن الأجناس المباينة لهما (الشعر).

     وــ إن رغبته في  مزيد من التدقيق و التعميق دفعت به إلى محاولة التمييز بين الأجناس، إذ عمد ــ بعد التأليف بين الرسائل والخطب لكونهما يتشابهان لفظا وأسلوبا وبناء ــ إلى التفريق بينهما لأنهما يختلفان من حيث طريقة الأداء:  فالخطب جنس  شفاهي؛ أما الرسائل فهي جنس  كتابي.

**3- خصائص الرسالة:**

- « تتميز الرسالة الفنية من بين ألوان النثر الفني الأخرى بالمرونة الفنية والأسلوبية… ذلك أن تلك المرونة تسوغ للرسالة الفنية قبول خصائص الشعر من خيال وتصوير وتعبير عاطفي، وعناية بالزخارف المعنوية واللفظية . لكن ليس من الضروري أن تستمد الرسالة خصائصها من الشعر، فتصبح شعرا منثورا؛ وذلك لكونها قادرة على خلق “شعريتها” الخاصة والمنسجمة مع جنسها الأدبي؛ إذ منه تستمد الرسالة خصائصها لتشيد “شعريتها” وتسمو بها. ولهذا تدعو الضرورة إلى دراسة معمقة لجنس الرسالة ولأنواعه و في مختلف العصور، وذلك لرصد ما عرفه من تحولات، ولتحديد الخصائص التي اكتسبها في كل مرحلة من مراحل تطوره؛ والتي قد تكون لفظية أو أسلوبية أو دلالية أو حجاجية؛ و تسهم كلها في تزيين الرسالة، وتعزيز دلالاتها وتعميقها، والرفع من قدراتها الإقناعية وقوتها التأثيرية.

- السجع من العلامات البارزة في الأجناس النثرية القديمة كما تشهد على ذلك المقامات والخطب والرسائل.

- تتميز أنواع من الرسائل بنزعتها وحمولتها الرمزية التي تسهم في إغناء دلالاتها، وتحقيق مقاصدها؛ فاستخدمت الإشارات التاريخية ووظفت معاني التراث في صور رمزية دالة

**المراجع**

1. فنون النثر الأدبي بالأندلس في ظل المرابطين، مصطفى الزباخ، الدار العلمية للكتاب الدار البيضاء، الدار العلمية للطباعة والنشر بيروت،  د ط ، د ت.
2. أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، فايز عبد النبي القيسي، دار البشير، الطبعة الأولى 1409 ـ 1989.
3. رسائل أبي الحسن بن مسعود اليوسي، جمع وتحقيق ودراسة  فاطمة خليل القبلي، دار الثقافة، الطبعة الأولى 1401 هـ ـ 1981 م.
4. جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية بيروت، د ط ، د ت، الجزء الرابع.

المراجع :

محمد رضوان الداية، في الأدب الأندلسي، صفحة 235